

أهل السنة يثبتون أن الله تعالى متكلم

تنقل إلى صفة الكلام وهي أيضاً صفة كمال، وهذه الصفات الثلاث، ذكرنا: أن الأشاعرة أثبتوها، وقالوا: إن الحي إذا أثبت له الحياة فلا بد أن يكون سميماً أو ضده بصيراً أو ضده متكلماً أو ضده . فالأشاعرة أثبتوا صفة الكلام، وأثبتوا أن القرآن كلام الله؛ ولكن لم يثبتوا الكلام حقيقة -لم يثبتوا الكلام حقيقة كما أثبته أهل السنة- المعترضة يصرحون بأن الله لا يتكلم، ويصرحون بأن الكلام الذي هو القرآن هو مخلوق، الأشاعرة يقولون: إن الله يتكلم؛ ولكن ينفون الكلام الحقيقي، وكذلك أيضاً يثبتون أو يقولون: إن كلام الله هو المعنى ليس اللفظ، وينكرون أن الله يتكلم بكلام مسموع. أهل السنة يثبتون أن الله تعالى متكلم، ويتكلم إذا شاءَ ولهُم أدلة على ذلك، أدلة جلية ظاهرة، فمن الأدلة ما ذكر الله تعالى: أنه كلام موسى وهذا نص في قول الله تعالى: { وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا } أكد بقوله: "تكليمًا" يدل على أنه سمع كلام الله، ثقلت هذه الآية على المعترضة، ذكر أن أحدهم جاء إلى أبي عمرو القراء السبعة من أهل العراق فقال: أريدك أن تقرأها بلطف وكلم الله موسى تكليماً، يريد بذلك أن موسى هو المتكلم ليس الله . ولكن أبو عمرو رحمه الله خصميه فقال: هب أني قرأتها كذلك، أو أنت قرأتها كذلك، فكيف تصنع في قول الله تعالى في سورة الأعراف: { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلْمَةً رَبِّهِ } فيهذا ذلك المعترض، حيث إن هذه الآية لا يمكن تصحيحها، لا يمكن أن يحرفاً تحريفاً لفظياً، وهي صريحة بأن ربه هو المتكلم { وَكَلْمَةً رَبِّهِ } كذلك خصه الله تعالى بلطف الكلام، في قوله تعالى: { إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي } وإنه صريح في أنه خصه بكلامه الذي سمعه منه إليه. وقد ذكر شيخ الإسلام أن المعترضة حرفاً قوله { وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى } فقالوا: إن التكليم هنا هو التجريح أي: جرحه باطاغير الحكم؛ لأن الكلم هو: الجرح، في الحديث { ما من مكالوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيمة وكلمه يدمي } فهذا حملهم عليه إنكار هذه الصفة، جرحه لا شك أن التجريح يعتبر عذاباً، والله تعالى أكرم من أن يعذب نبيه وكلمه موسى ثم يرد عليه بالآية التي ذكرنا { إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي } فإنه صريح، ولم يقل: بتكميلي أو بتجريحني، وبكلامي، ثم يرد عليهم بآيات النداء، وبآيات المناجاة في حق موسى في عدة مواضع مثل قوله تعالى: { وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطَّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَبَتِهِ تَجْيَأْ } النداء لا يكون إلا بكلام مسموع، أنت إذا قلت: ناديت فلاناً، معناه صوت له حتى سمع نداءك، فالله تعالى نادي موسى في المنطومة الشيبانية يقول: على الطور ناداه وأسمعه الندا ناداه وأسمعه النداء، والنداء لا يكون إلا بكلام ومثله قوله تعالى: { وَإِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوَّيْ } النداء: لا يكون إلا بكلام، وكذلك أيضاً أثبت قوله تعالى: { هَلْ أَنَاكَ حَدِيثٌ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوَّيْ } النداء: لا يكون إلا بكلام مسموع، وفي الله أنه ينادي في قصة الأبوين { وَنَادَاهُمَا أَلْمَأْهُكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ } النداء: لا يكون إلا بكلام مسموع، وفي الآخرة يقول الله تعالى: { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شَرَكَائِي } في سورة القصص في ثلاثة مواضع { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَتُمُ الْمُرْسَلِينَ } { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شَرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ } النداء لا يكون إلا بكلام تعرفه العرب يقول شاعرهم: فقلت ادعني وأدعوك أن ينادي داعيَان ينادي داعيَان، أثبت أنه صوت، وكذلك ورد في الحديث { أن الله تعالى يقول يوم القيمة: يا آدم فيقول: ليك ربنا وسعديك؛ فينادي بصوت، إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار } فأثبت أنه ينادي وأنه بصوت، وكذلك قوله في آية مريم { وَقَرَبَتِهِ تَجْيَأْ } والنجي: هو الذي يكلم كلاماً خفياً، فعل على أنه ناداه، وأنه ناجاه بكلام سمعه موسى لا شك أن هذا دليل واضح على إثبات صفة الكلام، وقد أخبر الله تعالى بأنه متكلم، وأن كلامه لا يحيط به أحد فقول الله تعالى: { وَتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلْمَاتِهِ } يريد: أنها كملت عن أن يلحقها نقص أو يلحقها عيب أو وصمة أو خلل؛ بل كلمات الله تعالى كلام تام يعني: أنه منزه عن الخلل وعن العيب الذي يكون في كلام الإنسان، أي: في جنس كلام الناس، كذلك قوله تعالى: { وَتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ حَقَّهُمْ } يعني: تكلم وأخبر بأنه يملأ جهنم من الجنة والناس، أي: أنه لا بد أن يتم ما قاله وما تكلم به، كذلك أيضاً أخبر تعالى بأن كلامه لا يحيط به محيط، في قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ سَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةً أَبْخُرَ مَا نَفَدَتْ كَلْمَاتُ اللَّهِ } وكذلك قوله: { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلْمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَدَ كَلْمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جَنَّا بِمَنْهِ مَدَادًا } أي: لو أن جميع أشجار الأرض من أول الدنيا إلى آخرها كانت أقلاماً، وأن البحر الدنويه ومثلها معها سبعة أبحر كانت مداداً يكتب به، فكتب بذلك الأقلام، وكتب بذلك المداد لتكسرت الأقلام ولنفد ذلك المداد قبل أن تنفذ كلمات الله، وذلك لأنه ليس لها نهاية ليس لها بداية ولا نهاية والمخلوقات لها بداية ونهاية، البحر له بداية ونهاية، مع أنها لو شاهدنا بحار الدنيا، لعرفنا عميقها ولاستبعدها أنها تنفذ، ولكن أخبر الله تعالى بأن كلامه لا يحيط به محيط، وليس له نهاية، دليل على إثبات كلام الله تعالى يثبت الله تعالى لنفسه القول في القرآن. يكتبه قوله تعالى: { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نَعْقُوبَ عَلَيْكَ وَالْدَّيْنَكَ } ثم { قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزَلُهَا عَلَيْكُمْ } { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَحْدُونِي وَأَمْيَأُ الْهَمَّيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ } إلى قوله: { قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْقُعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ } وجاء أيضاً بلطف المضارع كقوله { وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ } وجاء بلطف المصدر كقوله تعالى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلَا } وجاء بلطف الحديث { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } .